INTERNATIONAL FOUNDATION FOR TOLERANCE
BUILDING BRIDGES OF UNDERSTANDING

الهيئة الدولية للتسامح

التسامح والفهم والقبول : مدخل مفاهيمي ومنظور معاصر

أ.م.د. جمال عبدالله مخلف المختار

دكتوراه إدارة الأعمال/ متخصص في ريادة الأعمال – إدارة مشاريع ريادية

العراق/ محافظة نينوى/ مدينة الموصل

عضو الهيئة الدولية للتسامح

INTERNATIONAL FOUNDATION FOR TOLERANCE
BUILDING BRIDGES OF UNDERSTANDING

الهيئة الدولية للتسامح

التسامح والفهم والقبول : مدخل مفاهيمي ومنظور معاصر

تحية طيبة مباركة أساسها المحبة والتسامح ...

يمكن القول ... بأن التسامح كمفهوم ومصطلح ومعنى يتصل اتصالاً وثيقاً بالفكر والسلوك الإنساني الراقي, كون الفرد المتسامح يحمل في ثنايا روحهِ ونفسهِ كل صفات الإنسانية والأخلاق الحميدة ومعاني الرحمة والشفقة واللين والمودّة والمحبة.

كما يعد التسامح كفعل وممارسة حياتية يومية مهارة (Skill) يتميز بها الأفراد الطيبون الذين يسمون بأرواحِهم ونفوسهم إلى العُلى والى قيم السماء الصافية الراقية بعيداً عن الكره والبغضاء والحقد.

وعليه فإن التسامح صفة الناس الكُرماء والعُظماء الأجلاء وهو مصدر قوّة وليس ضعف ... كما يرتبط المضمون الحقيقي للتسامح بصفة الحُلُم حيث أن (الحُلُم سيد الأخلاق) مصدقاً لحديث رسولنا الكريم محمد (ﷺ).

نعم ... التسامح والسماح كفكر وسلوك وممارسة ليس بالأمر الهيّن على الفرد وإنما يقابله مزيج من المشاعر الوجدانية والسلوكيات المحددة التي تتطلب تحمل الألم والصبر والجَلَد والقُدرة على التحمل لتصرفات الآخر وسلوكياته ومواقفهِ تجاه الآخر.

ومن هنا لابد من التطرق إلى المفهوم الشامل لمعنى التسامح (Tolerance) وهو يعبر عن ردود الفعل الإنسانية تجاه الآخرين سواءً كان فرداً أو جماعة ... ويتضمن الوعي الواسع والعميق للأحكام والمعتقدات والآراء التي تطلق تجاه افكار وسلوكيات ومواقف الآخر مهما كان مستواه الثقافي والفكري والمادي بحيث ترتكز على الانصاف والعدالة والرعاية والارتقاء والنأي بالنفس عن كل ما يشينها من أقوال وأفعال.

وعودةً على بدء ... فإن التسامح له مبادئ جوهرية يرتكز عليها وهي:

1- الحُكم بموضوعية.
2- العقلانية.
3- التسامح بقناعة.

فإن تعاضد وتفاعل هذه المبادئ لدى المتسامح تشكل جوهراً معاصراً لمواكبة الحياة بكل متغيراتها وتعقيداتها ومعوّقاتها, فالتسامح يعني القوّة والشكيمة والإرادة الصلبة تجاه الآخرين ويمكن وصفهُ: [Tolerance is power, Raishional, Willness, ... etc]

إذاً المسامح كريم وقوي وإنسان ذو فكر راقي متميّز وسلوك قويم وعقل رشيد وحكيم هدفه استدامة التعايش السلمي والمجتمعي بعيداً عن التطرف والتعصب والكراهية ونبذ الآخر.

للتسامح قيمة عليا في حياتنا المعاصرة ترتكز على عدة أمور هي:

1- الابتعاد عن ظواهر التنمر والاستهزاء بالآخرين على اختلاف مستوياتهم ومشاربهم.

2- أساس التسامح ينبع من الأسرة والوالدين من خلال اقوالهم وأفعالهم ومواقفهم مع أطفالهم وعائلتهم بحيث تكون المدرسة الأولى للتسامح والمحبة والمودة والارتقاء.

3- تحفيز القيم والممارسات الايجابية لدى الفرد والمجتمع واحترام العادات الحسنة والتقاليد الايجابية.

4- التركيز على الجيل الناشئ من حيث أساليب التعليم والتثقيف الإنساني المبني على أسس المحبة والتسامح وكيفية قبول الآخر من اقرانهم مع بناء الفكر والسلوك الراقي.

5- تربية الجيل الناشئ على مبدأ الثواب والعقاب بعيداً عن التشدد والأذى والظلم وارشادهم نحو الحياة وكيفية التعامل مع الآراء والمعتقدات والمواقف المختلفة عنهم, فالبيت هو المجتمع والمنطلق واللبنة الأولى لتربية النشيء والجيل المعاصر على أسس المحبة والتعاون والتسامح وقبول الآخر والتماسك.

يوصينا الله عز وجل بالتسامح والصفح والمحبة مع الآخرين, وعليه كيف نصل إلى التسامح كعملية اجتماعية فكرية وسلوكية ميدانية في الحياة؟

1- التسامح من الصفات الحميدة الأساسية لكل فرد في المجتمع ولكل إنسان.

2- كل المجتمعات مهما اختلفت مستوياتها وظروفها المعاشية لابد لها من التسامح وصولاً إلى ديمومة الحياة واستمرارها بعيداً عن الصراعات والحروب.

3- يعني التسامح نسيان هفوات وأخطاء الماضي والانطلاق إلى المستقبل بروحٍ راقية ونفس مطمئنة راضية تقبل الآخر وترشدهُ وتصحح مسارهُ.

4- تفعيل التسامح قولاً وفعلاً وسلوكاً ومنهجاً من خلال الرجوع إلى التعاليم السماوية لكل الأديان.

5- تطبيق التسامح قولاً وفعلاً وسلوكاً في كل مفاصل الحياة ومساراتها الأخذ والعطاء والبيع والشراء والتعلم والتعليم والصناعة والزراعة والتجارة والتعاملات اليومية والسياسية والإعلام ... الخ. وهنا تظهر معالم وصفات الفرد المتسامح بشكل يميّزهُ عن غيرهِ من البشر.

واستكمالاً لما تقدم, فإن للتسامح والفهم والقبول منظورات متعددة معاصرة تُسهم في تبني المفاهيم الثلاثة متفاعلةً ومتداخلة يؤثر أحدهما على الآخر, سلباً وايجاباً وعليه يمكننا التعامل مع هذه المصطلحات من منظورات متعددة وهي كالآتي:

أولاً: التسامح والفهم والقبول من منظور ديني:

إن التسامح من منظور ديني يعد الأهم من بين بقية المنظورات, حيث أن الإنسان على وجه الأرض لا يمكنه العيش في هذه الحياة بدون دين يعتنقهُ وشريعة يستند إليها في تعاملاتهِ اليومية مع الآخرين ومع نفسهِ وعائلته وكافة المحيطين بهِ لاسيما وأن كل الأديان السماوية صدرت من سراج واحد وهي الذات العليّة ... الله

سبحانه وتعالى, حيث تؤكد جميع الأديان وتدعو إلى المحبة والألفة والتعايش السلمي والتعاون بين بني البشر جمعاء.

واستناداً إلى ما تقدم ... فإن الجانب الأخلاقي الكبير يصب في مسألة التعاون والمودّة وقبول الآخر بغض النظر عن العِرق واللون والطائفة والدين, حيث أن كل البشر ينتمون إلى أبونا آدم عليه الصلاة والسلام ... وعلى البشرية جمعاء التحلي بأخلاق وصفات وسجايا أبونا آدم التي جُبلت على الخيرية والسلام والمحبة والقبول للآخر لكي تحيا البشرية بسلام وأمان وكرامة.

كما أن التعايش بين الأديان ضرورة حتمية لابد منها والابتعاد ونبذ التطرف الديني والعقائدي كونه مصدر الحروب والصراعات والكراهية بين بني البشر في كل زمان ومكان.

إن الخالق عز وجل يدعونا في كتبه السماوية المنزلة إلى الإيمان والتوحيد ويؤكد على العمل والممارسة والتطبيق في كافة مناحي حياتنا اليومية, إذاً لا يكون الإنسان إنساناً إلاّ إذا تخلّق بأخلاق حميدة ولطيفة تتسم بالتسامح مع نفسه أولاً ثم مع الآخرين من بني جلدتهِ والذي بدورهِ سيجعل للحياة هدف ومعنى وغاية.

وهنا نصل إلى نتيجة حتمية ... بأن الإنسان المُحب والمتعاون والمتسامح يُعد هو الإنسان الحقيقي الذي يُعمر الأرض بكل معاني الخير والعطاء والرحمة والإنسانية ويتأتى هذا من خلال فهمهِ لنفسه وللآخرين مع مراعاة ظروفهم وأحوالهم وما يقاسون منه خلال الحياة ومصاعبها وإرهاصاتها.

ثانياً: التسامح والفهم والقبول من منظور فكري وثقافي:

إذاً هذا المنظور يركّز على الجوانب الفكرية والثقافية للإنسان حيث يعد الإنسان المثقف والمتعلم والواعي هو الغاية والوسيلة بنفس الوقت, إذ أن الثقافة بكل أبعادها وعناصرها وسماتها إنما تُعد الحجر الأساسي للإنسان والذي من خلالها يوجّه مسارات أفكاره وسلوكياته وأفعالهِ اليومية في محيطهِ وبيئتهِ التي يعيش فيها.

إذاً يمكن تشبيه الإنسان بأنه محور الحدث في هذا العالم فكلما كان هذا الإنسان واعياً متعلماً متفهماً وعقلانياً كلما كان أكثر تسامحاً ومحبةً وتعاوناً وألفة من الآخرين ... ويعود السبب في هذا إلى أن ما يكتنزهُ الإنسان من أنواع المعارف والعلوم والفنون والأدب والثقافة والتربية سينعكس ايجاباً على مفردات حياته اليومية واليت تتجلى من خلال سلوكياته وأفعاله وتصرفاتهِ مع الآخرين, إذ أن التعايش اليومي مع الآخرين بكل حيثياتهِ وأبعاده يتطلب النظر إلى الأمور بفكرٍ ثاقب وسليم وإنساني ويتأتى هذا من أسس الفهم والقبول للآخر بغض النظر عن مجريات الأحداث ... ومرّدُ هذا يعود إلى الرشد والعقلانية للإنسان في تعاملاتهِ وكيفية وآليات إتخاذهِ لمئات وآلاف القرارات اليومية سلبية كانت أم إيجابية.

إذاً سلوك الإنسان نتيجة لافكارهِ وأفعاله وتصرفاته تنبع من ثقافتهِ ووعيهِ وهنا سنصل إلى نتيجة حتمية مفادها:

ان الإنسان الواعي والمثقف والمتعلم والمفكر سيكون الأكثر تعاوناً وتسامحاً وتعايشاً مع الآخرين وفي الوقت ذاته سيكون الداعية إلى إشاعة السلام والمحبة والتسامح والأُلفة والمودّة والتعايش السلمي والتماسك المجتمعي في كل زمانٍ ومكان فضلاً عن نوازع الخيرية والفضيلة والإنسانية التي يمتلكها منذ نعومة أضفارهِ.

ولابد من القول هنا ... بأن يتوجب على الإنسان عدم التعصب لإفكاره واحترام أدب التخاطب والحوار مع الآخرين وهذا يعني بأن الإنسان يكون ودوداً متسامحاً حتى في أَشد الحالات تأزماً ومن خلال الحوارات مع الأصدقاء والمعارف بحيث يثبت للآخرين بأنه إنسان راقي مترّفع عن المهاترات والتعصب والتشدد في طرح أو استقبال الأفكار ووجهات النظر.

ومن هنا فإن الحلم سيد الأخلاق ... أي يكون الإنسان حليماً رحيماً واسع الصدر يألف ويؤلف ... وهو ليس بالشيء السهل على الإنسان ولكنه يتطلب الصبر والجلد وقوة الشكيمة ليكون إنساناً متسامحاً ليناً مع الآخرين.

ثالثاً: التسامح والفهم والقبول من منظور سياسي:

وهنا لابد للفرد أو الجماعة والتي لها أفكار ونهج سياسي معين أن تتسم بالتسامح مع الآخرين من الأفراد والجهات السياسية ذات النهج والأهداف المختلفة عنهم, حيث تبرز سمة التسامح والفهم للآخرين وتقدير ظروفهم وأحوالهم وسعيهم لتحقيق غاياتهم وأهدافهم ... ولكن ليس على حساب الثوابت والوطنية والقيمية التي تمس وتضر بالمصلحة العليا للبلاد.

وتبرز هنا مبادئ معينة يتطلب الأخذ بها ومراعاتها وأولها مبدأ الديمقراطية التي تتبنى الأفكار والطروحات والتوجهات بكل شفافية وقبول للآخر حتى لو كان على نهج مختلف فكرياً وسياسياً, ولكن يبقى الحوار وفن الاقناع والتفاوض وفنونه وآلياته محور العمل والتطبيق في الحياة.

كما ينبغي التأكيد على ضمان الحريات السياسية على صعيد الفرد والجماعة, أي أن لكل فرد حريتهُ الشخصية فيما يختار من أفكار وتوجهات سياسية يراها مناسبة وعدم الضغط والإكراه باتجاهات سياسية معينة, ويعود هذا لمعنى التسامح وفهم الآخر وقبوله على ما هو عليهِ ويعتقد به ويراه صحيحاً.

وهنا سنصل إلى نتيجة حتمية مفادها ... بأن الإنسان في هذا العالم المتطور والمتغير والمعقد يُعد هو المحور وهو الغاية والوسيلة ويتوجب عليه أن يتصف بخصال المحبة والتسامح والتعايش السلمي والمجتمعي مهما اعتنق من أفكار سياسية وتوجهات حزبية ولابد له من تفهم الآخرين وقبول افكارهم وتوجهاتهم السياسية واعتماد فن الحوار والمصالحة والمصارحة والشفافية قولاً وفعلاً فضلاً عن إقناع الآخرين بالأفكار ووجهات النظر باستخدام فن التفاوض وآلياتهِ.

رابعاً: التسامح والفهم والقبول ... من منظور إنساني

تُعد النظرة الإنسانية الأولى والحاسمة في عالمنا المعاصر المتمدن حيث أن الإنسان هو الكائن الذي وضعه الخالق عز وجل بأنه خُلق في أحسن تقويم وهو الذي يعمر الأرض بكل أبعادها وحيثياتها, وعليه فإن كلمة ومصطلح الإنسان تعني الأُنس ... أي أن الإنسان يؤلف ويؤتلف مع الآخرين ويشعر بالألف والطمأنينة والراحة مع أخيه الإنسان الذي خلق من نفس الطينة ومن أبٍ واحد وأمٍ واحدة.

لذا يتوجب على الإنسان في كل زمان ومكان أن يتحلى بالإنسانية التي هي دليل الرحمة والشفقة والمودّة وأن يكون عوناً لأخيه الإنسان على الرغم من كل الاختلافات في اللون والعرق والجنس والدين والمعتقد.

وعليه فإن النظرة الإنسانية ذات معاني عميقة ودلالات كبيرة في الأمور بشكل عام.

إذاً الإنسان يكون متسامحاً محباً متعاوناً أليفاً ودوداً وهذهِ من الخصال الفطرية التي جبل الله الإنسان عليها, وعلى النقيض من هذا فإن الإنسان غير المتعاون وغير المحب للخير وغير الأليف وغير الودود لا يُعد إنساناً بالمعنى المفهوم والمنطق.

ومن هنا سنصل إلى نتيجة حتمية مفادها ... بأن الإنسان الحقيقي هو ذلك الفرد الذي يتصف بالرحمة والشفقة والإنسانية والتعاون والأُلفة والمودّة ... ويكون متسامحاً في أقوالهِ وأفعاله وتصرفاتهِ مع الآخرين فضلاً عن كونه داعياً إلى الإنسانية والخيرية والفضيلة والمحبة والتكافل ويسعى دوماً لإشاعة السلام والتعايش السلمي والتماسك المجتمعي.

وعليه واستناداً إلى ما تقدم من طروحات فكرية بخصوص التسامح والفهم والقبول ومنظوراته المعاصرة يتضح لنا بأن التسامح ومن خلال جميع المنظورات المذكورة آنفاً يعد نقطة الارتكاز والقطب الذي تدور حولهُ جميع مناحي الحياة ... حيث لا سلم ولا حياة ولا تطور ولا تقدم ولا أمان بدون تفعيل التسامح (Tolerance) لغةً وفكراً وسلوكاً وتطبيقاً في حياتنا اليومية, وهذا يتطلب مِنا كبشر نعيش معاً على سطح هذا الكوكب أن نحيا بسلام ووئام ونتعامل مع بعضنا البعض بروح الإنسانية المحبة للخير والسلام والتعايش الإنساني والمجتمعي والذي بدورهِ سيوصلنا إلى حياة حُرة كريمة مستقرة تسودها المساواة والعدالة والحرية والرفاهية والتطور.